

أضواء البيان

. @ 315

ولذا كان قول نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { وَلَا يَلِدُوا ° إِلَّا ° فَاجِرًا ° كَفَّارًا } ، كان بدليل الاستقراء من قومه ، والعلم عند الله تعالى . . .
وقوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ بَلِّ لَّا تَذَرُ عَالِي الْأَسْرِ رُضْ مِنْ الْكَافِرِينَ ° دِيَّارًا } ، لم يبين هنا هل استجيب له أم لا ؟ وبينه في مواضع آخر منها قوله : { وَنُوحًا ° إِذْ ° نَادَى مِنْ قَبْلُ ° فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ° } . . .
وفي هذه السورة نفسها وقبل هذه الآية مباشرة قوله تعالى : { مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ° أُغْرِقُوا ° فَأُذِخِلُوا ° نَارًا ° فَلَمْ ° يَجِدُوا ° لَهُمْ ° مِّنْ دُونِ اللَّهِ ° أَنْصَارًا } فجمع الله لهم أقصى العقوبتين الإغراق والإحراق ، مقابل أعظم الذنوب الضلال والإضلال . . .

وكذلك بين تعالى كيفية إهلاك قومه ونجاته هو وأهله ومن معه في قوله : { فَدَعَا ° رَبَّهُ ° أَنْ ° نُّمِّي ° مَغْلُوبٌ ° فَانْتَصِرْ ° فَفَتَحْنَا ° أَبْوََابَ ° السَّمَاءِ ° بِمَاءٍ ° مِّنْهُ ° هَمِيرٌ ° وَفَجَّرْنَا ° الْأَسْرَ ° رُضْ ° عِيُونًا ° فَالْتَقَى ° الْمَاءُ ° عَالِي ° أَمْرِ ° قَدْرٌ ° وَحَمَلْنَا ° هُ ° عَلَى ° ذَاتِ ° أَلْوَاحٍ ° وَدُسُرٍ ° تَجْرِي ° بِأَعْيُنِنَا ° } . . .
قال ابن كثير : لقد أغرق الله كل من على وجه الأرض من الكفار ، حتى ولد نوح من صلبه .
وهنا تنبيه على قضية ولد نوح في قوله { يَا بُنَيَّ ° ارْكَبْ ° مَّعَنَا } إلى قوله { فَكَانَ ° مِنْ ° الْمُغْرَقِينَ } لما أخذت نوحاً العاطفة على ولده قال : { رَبِّ ° إِنَّ ° ابْنِي ° أَهْلِي } إلى قوله : { إِنَّ ° زَوْجَهُ ° لَيْسَ ° مِنْ ° أَهْلِكَ } أشار بعض الناس تساؤلاً حول ذلك في قراءة { إِنَّ ° زَوْجَهُ ° عَمَلٌ ° غَيْرٌ ° صَالِحٌ } ، إنه عمل ماضي يعمل أي بكفره . . .

وتساءلوا حول صحة نسبه ، والحق أن الله تعالى قد عصم نساء الأنبياء إكراماً لهم ، وأنه ابنه حقاً ، لأنه لما قال { إِنَّ ° ابْنِي ° مِنْ ° أَهْلِي } تضمن هذا القول أمرين نسبته إليه في بنوته . . .

ثانياً : نسبته إليه في أهله ، فكان الجواب عليه من الله بنفي النسبة الثانية لا الأولى ، إنه ليس من أهلك . ولم يقل : إنه ليس ابنك ، والأهل أعم من الابن ، ومعلوم أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ، والعكس بالعكس ، فلما نفى نسبته إلى أهله علمنا أن نسبته إليه بالبنوة باقية ، ولو لم يكن ابنه لصلبه لكان النفي ينصب عليها . . .

ويقال : إنه ليس ابنك ، وإذا نفى عنه البنوة انتفت عنه نسبته إلى أهله ، وكذلك قوله